

أخذت فكرة الدولة العالمية وفكرة الدولة القومية مكاناً بارزاً في ظل سفة ال سياسة، لما كلفتهما من قدرة على حل كثير من الم سكلات التي تعجز عن حلها فكرة «دولة المدينة» أو فكرة «الدولة الوطنية» تارة، ولما لهما من قدرة على تحقيق حلم الوحدة ال ساملة للإل سانية أو للأمة في مواجهة التجزئة والتفتت وال سراع تارة أخرى. فإذا كانت الدولة القومية تبدو ك سرورة تاريخية لتأكيد ال سيادة والإرادة العامة للأمة في مواجهة الاستعمار والهيمنة، فإن الدولة العالمية، تبدو كأمل للإل سانيين وأد كثر من أمثال سفة، تأ سى ساء علو وحدة الجن سالب سري، ورغبة في إقامة حكومة عادلة للإل سانية. وتما أحياً الانحراف لفكرة الدولة العالمية ل سالح سيادة قومية وابتلاعها ل سائر القوميات، كما تما الانحراف أحياً لفكرة الدولة القومية القائمة على ال سيادة وحق تقرير الم سير ل سالح تأكيد الدولة القومية تأ كيداً سوفينياً. دراسات 54 في هذا ال سياق المطروح في نطاق هذا البحث، لا سيما أن ه ذا ال ب ح ث لا ي دور في فلك التأثير والتأثر، وهو غير معني بهذه ال سية على الإل ط لاق، وإنما هو معني ببيان جذور ال استبداد التي ت سطر بع ش الفلاسفة إلى ال وقوع في مفارقات وأحياناً تناق سات، كانوا في غنى عنها لو ساروا مع عقلانيتهم المنطقية إلى النهاية، وتحرروا من سطوة القيم والنظم ال سيا سية الحاكمة المعاصرة لهم. إن النزعة العالمية كدعوة للم شاة ووحدة الإل سانية في القيمة، هي مبدأ عقلاني م شروع وي شوع نف شه بنف شه العالمية. القومية. في تاريخ الأفكار: إن ال ن زعة العالمية ك دعوة للم شاة ووحدة الإل سانية في القيمة، هي مبدأ عقلاني م شروع وي شوع نف شه بنف شه. وإل ي هذه النزعة دعت أدي ان وفل سفات متعددة على الأقل على الم ستوى النظري. ولم تظهر الدعوة إلى العالمية فيع سرالل سفة اليونانية حتتأراً سطو، لأنها لا تزال ت سير في فلك النزعة العرقية المتع سبة، لكن في الع سر الهيلين ستي (من سنة 323 ق. م حتى سقوط الإل سكندرية على أيدي الرومان في 30 ق. م) دعت الرواقيون إلى المواطنة العالمية، ونظروا إلى «الكون كله على أنه وحدة واحدة ي سودها العقل، وما الاعتقاد الرواقي في «ال ع الم- ال دولة» أو «ال دولة- العالم» إلا المظهر ال سيا سي لهذه النظرة الفل سفية في الكون». وعند الرواكية «أن الكون بأ سره جوهر واحد، طبيعة واحدة». والكون كله مجتمع كوني واحد، ودولة واحدة». فيريزينون «أنالب سري لا يجوز لهما أن يفرقا أو اللمدنو سعب، لكل منها قوانينها الخاصة. فالب سرجمياً أبناء وطن واح د، إذ حياتهم واح دة والكون الذي يحيون فيه واح د، مثلهم مثل قطع الأغنام ال ذي يوحد انقياده لقانون واح د». وتوازي الرواية ال سيا سية التي عمل الإل سكندر المقدوني عل تطبيقها فعلياً في العالم الرواية الفل سفية للرواكية. وفي الفل سفة الإل سلامية، ظهرت فكرة العالمية عند الإل وان ال سفا، ولكن في سكل ثقافي ديني، فهم يتحدثون عن وحدة الأديان والفل سفات والثقافات، غير أنهم على الم ستوى ال سيا سي لا يزالون أ سري لمفهوم الأمة بزعامة بينهما، ولا تنكر أن تلك الفروق لا تنبع فقط من قدر التعارض بين فيل سوف يقول بالدولة العالمية وفيل سوف يقول بالدولة القومية، وإنما تنبع، أ ي ساء، من اختلاف الظرف الح ساري والتاريخي ال ذي عاش فيه كل منهما. لكن ثمة مفارقة حقيقية تتمثل في أنه رغم هذا التعارض بين الطرفين، وبين الدولة القومية والدولة العالمية، ف إن بع ش المقاربات تفر ش نف سها، لكنها لي ست مقاربات حرفية متطابقة كل التطابق، وإنما ن سبية، حيث تتقاطع الفكرة عند أحدهما مع الفكرة عند الآخر في جانب، ثم ربما تخالفها في جانب آخر، أو ت سير أبعد منها، ربما ب سبب اختلاف المنهج، وربما ب سبب المق سد الأي دي ول وج ي، وربما ب سبب تفاوت الظرف التاريخي والثقافي. وتكمن المقاربة الأولى ساءية، وهياً أي ساء المقارنة الأولى ساءية، رغم كل الفروق بين الفارابي وهيجل، في أن التأ سي ش الميتافيزيقي لفكرة الدولة العالمية يكاد يكون هو نف سه التأ سي ش الميتافيزيقي لفكرة الدولة القومية! فكيف تكون فكرتان سيا سيتان مختلفتين: الدولة العالمية والدولة القومية،